

## تحليل نص (سرنديب) للبارودي

عرف العرب فترة طويلة من الركود والجمود، عرفت بعصر الانحطاط، طالت جميع مناحي الحياة، وتأثرت بها الحركة الثقافية والأدبية، غير أنه مع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونتيجة لعدة عوامل، منها الخارجي والداخلي، ظهرت حركة ثقافية وأدبية، مكنت الفكر العربي من التخلص من القيود، والانطلاق نحو الإبداع، وذلك بالعودة الواعية إلى التراث بغية التزود منه، مع الانفتاح على معطيات المدينة الجديدة، عرفت بالمدرسة الكلاسيكية.

وقد قاد هذه الرحلة جيل من الرواد، على رأسهم محمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومختار ولد حامدن في موريتانيا.

وتعتبر قصيدة (سرنديب) التي بين أيدينا إحدى تجارب البارودي ضمن هذا التوجه الشعري الجديد.

**فما المضامين التي تناولتها؟ وما الحقول الدلالية التي حكمت مسارها؟ وما المعجم المرتبط بها؟ وكيف جاءت خصائصها الفنية: من أساليب، وصور، وإيقاع؟ وإلى أي حد مثلت القصيدة تجربة البارودي؟ وهل تعتبر نموذجاً لتجربة البعث والإحياء؟**

يصور البارودي حاله في المنفى، بعد مشاركته في الثورة العرابية، وما عاناه من غربه وبعد، قطعاً علاقات الحب واللقاء مع أحبته وأهله، لكن هذا النفي، لم يزد الشاعر إلا عزيمته، وقوة، جعلاه يستحضر فضائله، ويفخر بما يمتلك من سجايا حميدة، ويسعى لمعالي الأمور، ولا يخشى من الأحداث، مهما عظمت، ولا ينسى البارودي، أن يوجه خطاباً قويا لمن لأمه على المشاركة في الثورة، ويصفه بالجهل، ويدعوه إلى الاستكانة لما فيه من لؤم، فهو أجدر به من التطاول إلى المعالي بأساليب تافهة، لا تبلغ الأنسان مجداً.

ولكي يعبر الشاعر عن هذه التجربة، ويترجم أحاسيسه، استخدم حقلين دلاليين، كان لهما الأثر في تحديد المضمون العام للنص، وهذان الحقلان هما:

- حقل المعاناة والإحساس بالغربة، ومعجمه: (غربة، المضايق، الخطوب، محنة، حسرة، بعدي...)
- حقل الفخر والاعتزاز بالنفس، ومعجمه: (فما غيرتني، خليقتي، ولا حولتني، باق، أني درة...)

أما عن الأسلوب، فقد اعتمد النص على الأسلوب الخبري، ومن أمثله: (كفى بمقامي في سرنديب غربة، باق على ما يسرني...)، وهو أسلوب مناسب للوصف والإخبار، ونجد في النص كذلك استخدام الشاعر للأسلوب الإنشائي، وإن كان بشكل قليل، لإثارة السامع، وشد انتباهه، من أمثله: (فليصطبر، أيها الزاري علي، تعز عن العلياء باللؤم).

ومن ناحية أسلوب الشاعر اللغوي، فقد كانت لغته جزلة، تستمد قوتها من عصور الفحولة الشعرية، ولا تبتعد عن المعجم الكلاسيكي: (رنقن، ثلمن، حدي، الخطوب، الضيم...)، وقد

جاءت تراكيبه قوية، وبعيدة عن الابتذال، وطغيان المحسنات البديعية، التي سيطرت على عصر الضعف.

أما على مستوى الصورة الشعرية، فقد اعتمدت على الصور البلاغية التقليدية، وتهدف بالأساس إلى تقريب المعنى من المتلقي، فاستخدم الاستعارة: (الأيام رنقن مشربي، ثلمن حدي...)، والتشبيه: (كفرحة بعدي، أني درة...)، والكناية (يرضى بما يرضى به كل مائق) وهي صور خادمة للمعنى، غير مقحمة إقحاما، وتضفي كذلك بعدا جماليا على شاعرية النص.

أما الإيقاع فقد اعتمد على نمطين، الأول خارجي، جسده نظام الشطرين، واستخدام البحر الطويل، مع التزام الروي والقافية الموحدتين، والثاني داخلي، جسده ظاهرة التكرار الحرفي للقاف، والذي اعتمد عليه روي القصيدة: (مقامي، لقاء، اقتحام...)، والتكرار اللفظي: (بعدي، يرضي...)، ثم إننا نجد في القصيدة أيضا ظاهرة التوازي، مثل:

فما غيرتني محنة عن خيلتي ولا حولتني خدعة عن طرائقي.

من خلال قارئتنا لهذا النص، ودراستنا له، نستنتج أن محمود سامي البارودي، ظل وفيا لتقاليد الشعر القديم إلى حد بعيد، سواء تعلق الأمر بالناحية الشكلية، أو المضمونية، وحريصا على اتباع مقاييسه، كما حددها الكلاسيكيون، وقد عبرت قصيدته سرنديب عن تجربته الشعرية حق تعبير، وكانت نموذجا للتجربة الإحيائية في الشعر العربي، من خلال تطويع آليات النظم التقليدية، للتعبير عن مختلف المواقف، والأحاسيس التي مر بها الشاعر.

الأستاذ: كلیم الله ولد أحمدی